بيومٍ كطول الدهر في عرض مثلهِ ووجديَ من هذا وهذاك اطولُ

اراد ان يبالغ في طول اليوم فجعلهُ كطول الدهر ثم لم يكفهِ حتى جعل لهُ عرضاً ولم يُسمع ان للزمان عرضاً الا في هذا البيت. واغرب منهُ قول الآخر

اسكرُ بالامس ان عزمتُ على الـ شرب غداً انَّ ذا من العجبِ

وصدق انهُ من العجب ولكن اعجب منهُ ان يخترع المرء مثل هذه الخرافة ثم يتعجب منها. ومن ذلك قول الحلي

لو قابل الاعمى غدا بصيرا ولو رأى ميتاً غدا منشورا

ولو يشا كان الظلام نورا ولو اتاهُ الليل مستجيرا

آمنهُ من سَطوات الفجرِ

وكل هذا مما لا يقبلهُ العقل ولا يحسن في الذوق ولا فيهِ شيءٌ من الاختراع انما هو ان يعمد الشاعر الى الاحوال الطبيعية وهي بين يديهِ وفي ذهن كل احد فينقضها او يخرجها الى ما وراء حدودها فيقول فلانٌ اذا زجر الريح مثلاً وقفت عن مسيرها واذا غضب على الشمس لم تشرق ولو شاء لجعل البحر في كفهِ ولو ضرب بسيفهِ الجبل لقدَّهُ وقس على ذلك مما لا يصعب على الفكر الانتقال اليه بل الذي عندنا ان كل ذلك مهما اختلفت صورهُ لا يُعَدّ الا معنًى واحداً اذ حاصل هذه الصور كلها امرٌ واحد وهو اخراج الاشياء عن مطبوعها (ستأتي البقية)

اللؤلؤ

ما برح اللؤلؤ من أقدم زمن محلاً لتنافس الملوك والكبراء وأرباب الثروة والترف ولعلهُ الصنف الوحيد من المركَّبات الحيوانية الذي ضارع

الجواهر المعدنية وعمّ استعمالهُ في المصوغات والملابس وسائر أدوات الزينة . والظاهر انهُ أول ما استُعمل في نواحي آسيا لكثرتهِ على شطوط البحر الهندي ولم يُعرَف عند اليونان الا منذ عهد الحروب المادَويّة وقد وُجد شيء منهُ في مدافن المصريين من زمنٍ لعلهُ يقرب من عهد موسى وأما عند الرومان فكان في غاية الندور الى حرب الجمهورية مع متريدات ثم شاع استعمالهُ وصار من لوازم زينة النسآء حتى يقال ان لوليا بولينا زوجة الامبراطور كليغولا كانت تتزين منهُ بما تنيف قيمتهُ على ثمانية ملايين من الفرنكات وانتشر استعمالهُ بعد ذلك في سائر أوربا وكثر التنافس بهِ حتى ان بعض مترفات النسآء كنَّ يخطنهُ على أحذيتهنَّ

أما تركيب اللؤلؤ فهو من طبيعة الصدف أي مؤلف من كربونات الكلس يخالطهُ مادةٌ حيوانية وهو يتولد في باطن الصدف اما لاصقاً بهِ أو منفصلاً عنهُ في جوف الحيوان الذي يستبطنهُ وهو في الحالين ينشأ عن حدوث أذًى من جرحٍ أو وخز يلحق الصدفة من قِبَل نهش بعض الهلاميات المفترسة أو دخول جسمٍ غريب الى جوف الحيوان من حبّ رملٍ أو غيرهِ يتأذى بهِ فيدعوهُ ذلك الى افراز مادةٍ صدفية لزجة تسد ذلك الجرح أو الوخز أو تغلّف الجسم الغريب فيجتمع هناك عدة طبقات رقيقة يتراكب بعضها فوق بعض وتزداد بالتدريج حتى تصير كتلةً مجتمعة هي الدرّة الا أن الدرّ الذي يتكون في جوف الحيوان يكون على الغالب أجمل وأتمّ استدارةً من الذي يتكون على جدار الصدفة

واكثر ما ينشأ اللؤلؤ في خليج فارس وشطوط اليابان وجزيرة سيلان

ولهُ مغاوص أيضاً في خليج المكسيك وشطوط هولندا الجديدة . وأشهر مغاوصهِ الذي عند جزيرة سيلان ومسافتهُ امام الجزيرة تبلغ نحواً من عشرين ميلاً . وهو يصاد هناك من اوائل فبراير الى أواخر ابريل فيجتمع الغواصون في هذا الفصل من كل سنة زرافاتٍ ويغوص الرجل بين سبع وثماني مرات في صباح كل يوم يلبث في كلٍّ منها تحت المآء من دقيقتين الى خمس ويصطاد من ٣٥٠ الى ٤٠٠ صدفة يجعلها في شبكة أو شكيكة اي سلة يستصحبها لذلك فاذا خرج أفرغها على حُصرٍ تُبسَط في قعر حفرةٍ وتُترَك الصدف معرّضةً للهوآء والشمس حتى تنفتح فيفسد لحمها وبعد انحلاله تُخرَج اللآلئ التي تكون فيها وتُغسَل وتُجلَى بمسحوق الصدف ثم توضع في غرابيل متفاوتة اتساع الخُرَب فيتميز كل حجم منها وحدهُ وبعد ذلك يثقبونها وينظمونها في السموط

وحجم اللؤلؤ يختلف فيكون تارةً اصغر من حبة الكزبرة وتارةً اكبر من بيضة الحمام والكبير منهُ نادرٌ وثمنهُ يكون تبعاً لحجمهِ لا لوزنهِ على حد سائر الجواهر الكريمة وقد كان العرب يضربون المثل بقرطي مارية وهي مارية بنت ارقم بن ثعلبة الحميريّ من ملوك اليمن كان لها قرطان كل واحدٍ منهما درّةٌ كبيرة كبيضة الحمامة واكبر ما ذُكر من الدرّ في ايامنا دُرّةٌ جآء بها رجلٌ من المكسيك الى لندرا سنة ١٨٨٤ وزنها ٩٣ قيراطاً اي ما يقرب من ٦ دراهم قُدّرت قيمتها بنحو ٣٥٠٠ جنيه

وقد تقدم ان اللؤلؤ ينشأ عن حدوث جرحٍ ونحوهِ يلحق الصدف وقد تنبه الناس لذلك فيهِ فعمدوا الى حمل الصدف على افرازهِ بالحيلة واول

من فعل ذلك فيما روى ابولونيوس الشاعر اليوناني العرب القاطنون على شواطئ الخليج الفارسي قال فانهم لما رأوا هذه الاصداف تفرز في موضع الجرح سيالاً اذا جفّ كان لهُ لمعةٌ قُزَحيّة تمثل لهم ان يستخدموا ذلك لاستخراج الدرر بالطريقة الصناعية فكانوا يصطادون الاصداف حيّةً ويجرحونها بنحو مسلّةٍ يدخلونها في مَشَقّ الصدفة ثم يطرحونها في منخلٍ من حديد على اناءٍ مملوءٍ ماءً فيتساقط السيال الذي يخرج من جراحها في المنخل على هيئة قطرٍ مستدير ثم يجمد فيكون لؤلؤًا . اه . وفي هذا القول الاخير مبالغةٌ لا تخفى الا ان الامر في اصلهِ غير بعيدٍ عن الامكان فان اهل الصين فيما يقال يستخدمون هذه الطريقة الى اليوم فيعمد اهل الصناعة منهم الى الصدف الحيّ ويغرزون في احد جانبيهِ طرف سلكٍ من حديد ويعيدونهُ الى الماء فيفرز حول موضع الجرح مادّةً شبيهةً بالصدف تتصلب شيئاً بعد شيء فيأخذونهُ بعد ذلك وينزعون ما أُفرز منهُ لكن اللؤلؤ الذي يتخذ بهذه الطريقة لا يكون تامّ الشكل ولذلك لا يصلح الا لبعض الصناعات

وقد عمد صناع اوربا في محاكاة اللؤلؤ الى غير ذلك فصنعوا اولاً لآلئ خرطوها من الصدف نفسهِ الا انها جاءت مباينةً لمنظار اللؤلؤ فلم يُرغَب فيها فعدلوا الى الطريقة التي كانت تُستعمل قديماً في البلاد المصرية والفينيقية وهي ان يعتاضوا عن الصدف بالزجاج قيل واول من خطر لهُ ذلك زجّاجان من اهل البندقية نحو سنة ١٤٠٠ ولذلك سُمّي هذا الصنف باللؤلؤ البندقي وكان يُصنع من زجاجٍ ابيض يشبه لون الصدف يُنفَخ ويُملأ صمغاً او شمعاً فانتشرت هذه الصناعة لوقتها الا انهُ كان لا يزال ناقصاً عن شبه اللؤلؤ

لخلوهِ من اللمعة القزحية التي يمتاز بها اللؤلؤ الطبيعي . واخيراً توصل الى انشآء هذه اللمعة بالطريقة الصناعية رجلٌ فرنسوي كان يعمل السُبَح يقال لهُ ياكين فانهُ عمد سنة ١٦٨٠ الى صنع لآلئ يخرطها من النهآء وهو حجرٌ ابيض ارخى من الرخام او يصنعها من عجين الورق ثم يطليها بطبقةٍ رقيقة من مادةٍ قزحية اتخذها من حراشف صنف من صغار السمك فضيّ اللون بأن نزع حراشفهُ ونقعها في المآء حتى لانت وانحلّ ما عليها من مادّة اللون الفضيّ فأخذ تلك المادة بعد ما صفّى المآء من منخل وحفظها في الامونياك . ثم في سنة ١٦٨٥ استبدل كرات النهآء بكراتٍ جوفآء من الزجاج طلاها من داخل بالمركب نفسهِ وهي الطريقة التي اعتُمدت مذ ذاك ثم ادخل عليها تحسيناتٍ شتى صارت بها من اجمل ما يتخذ للزينة حتى في البلاد التي يكثر فيها اللؤلؤ الطبيعي

مطالعات

حرير الهلام (الجلاتين) — اخترع المسيو آدم ميلر من اهل غلسكا بأكوسيا ضرباً من الحرير اتخذهُ من خيوط الهلام وذلك بان اخذ محلولاً من هذه المادة وركّزهُ اي اغلاهُ حتى طارت منهُ كل مادّةٍ مآئية وافرغهُ وهو حارٌّ في انابيب شعرية فتكوّن منهُ خيوطٌ في غاية الدقة فلفها على بكر وبخرها عدة ساعات ببخار الفرملدهيد حتى امتنع قبولها للذوبان . وخيوط هذا الحرير شديدة اللمعان الا انها جافية الملمس واذا جُعلت في المآء البارد تجعد وتسترخي ومتى جفت تعود الى صلابتها ولكن يذهب لمعانها . وقد اخذت